تائيّة الإلبيري

شَرْحُ فضِيلَةِ الشّيخِ

د. مُحَمَّد هِشَام طَاهِرِي

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ
لأي تنبيه التواصل
(0096550110130)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

كنا قد وقفنا على قول المصنف:

٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ... وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

٦١- وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ دَأْبًا ... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

في هذه الأبيات أهمية افتقار طالب العلم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وكما ذكرنا في المحاضرة الماضية بقدر إخلاصك، وبقدر افتقارك، وبقدر اتباعك تنال المراتب العلية، إخلاصٌ افتقارٌ اقتداءٌ، ثلاثة أشياء مهمات انظر إليها في طلبك للعلم تنل المراتب العلية.

(**وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا**)؛ وهذا فيه أهمية الدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه، من الآية:١١٤]، (**وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا**)؛ كان الإمام أحمد وهو صغير تقول أمه له: يا بُني! قم فادعوا الله عَزَّوَجَلَّ فإن هذه ساعة يستجيب الله فيها الدعاء، وهو صغير، هذا أمر مهم، طالب العلم عليه أن يُخلص الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ، ويطلب من الله التوفيق، حتى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود، من الآية:٨٨]، وقال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممتثلًا أمر الله: «**رب زدني علمًا**».

(**وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى**)؛ ذو النون يعني صاحب الحوت، وسُمي يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ يونس بن متَّى النبي الكريم سُمي بذي النون؛ لأنه كان خرج من قريته ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٤٢]، ثم أصبح يُنادي في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:٨٧]؛ هذا الدعاء -أيها الإخوة- مع

الاستغفار يقربك إلى العزيز الغفار، يزيد بصيرتك، ينور فهمك، يزيد حفظك، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ ولهذا كان أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: "ما أغلق علي شيءٌ إلا انشغلت بالاستغفار والدعاء حتى يفتح الله علي"، وهذا أمر مهم ترى.

(**وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا**)؛ لا ينبغي لطالب العلم أن يمل، ألا ترون أن أهل الدنيا يذهبون إلى أهل الدنيا مرات وكرات حتى يحصلوا طُعمة من طُعم الدنيا، بل حدثني رجل أنه صار له عشرين سنة وأكثر ينتظر بيتًا من الإسكان ويذهب إليهم في كل سنة مرة، قلت: ما مللت؟ قال: ما مليت، سبحان الله! أهل الدنيا ما يملون، وأخبرني رجلٌ منهم أنه لأجل مناقصة لترسوا المناقصة عليه يقول: ذهبت إلى المسئولين ليلًا ونهارًا، سرًا وجهارًا، قلت هذه دعوة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بس شتان بين دعوته ودعوتك، هكذا الناس، لو أن طالب العلم لازم قرع باب الله، والله ليأتين وقت يفتح الله عليه، (**سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا**)؛ وأبواب الملوك والأمراء والرؤساء تُغلق، وباب الله عَزَّوَجَلَّ لا يُغلق، وهو سبحانه يؤخر عنك طلبك يوم يومين، شهر شهرين، سنة سنتين؛ لتزداد آهاتٍ واستغاثاتٍ ودعواتٍ، فترتفع عند الله عَزَّوَجَلَّ وأنت لا تدري.

(**وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ دَأْبًا... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا**)؛ كما جاء عند الترمذي قال: «**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»، أنت تذكر الله في الأرض، الله يذكرك في نفسه في السماء في العلو، وإن ذكرته في ملأ مثل حالنا الآن نتذاكر الله عَزَّوَجَلَّ في ملأ فيذكرنا الله في السماء في ملأ خير من ملأنا؛ وهذا أمر عظيم، لا يمكن إلا أن نفتقر الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونطلب منه القبول.

ثم من قوله: (**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ**)، من البيت الثاني والستين إلى قوله: (**وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا**)؛ هنا الحذر من التسويف والغرور المضادان أو الصادان عن العلم، الحذر من التسويف والغرور الصاد عن العلم، أو المضاد للعلم.

٦٢- وَلَا تَقُـــلِ الصِّـــبَا فِيـــهِ امْتِهَـــالُ ... وَفَكِّـــرْ كَـــمْ صَـــغِيرٍ قَـــدْ دَفَنْتَـــا

٦٣- وَقُـــلْ: يَـــا نَاصِـــحِي بَـــلْ أَنْـــتَ أَوْلَـــى ... بِنُصْـــحِكَ لَـــوْ لِفِعْلِـــكَ قَـــدْ نَظَرْتَـــا

٦٤- تُقَطِّعُنِـــي عَلَـــى التَّفْـــرِيطِ لَوْمًـــا ... وَبِـــالتَّفْرِيطِ دَهْـــرَكَ قَـــدْ قَطَعْتَـــا

٦٥- وَفِـــي صِـــغَرِي تُخَـــوِّفُنِي الْمَنَايَـــا ... وَمَـــا تَـــدْرِي بِحَالِـــكَ حَيْـــثُ شِـــخْتَا

٦٦- وَكُنْـــتَ مَـــعَ الصِّـــبَا أَهْـــدَى سَـــبِيلًا ... فَمَـــا لَـــكَ بَعْـــدَ شَـــيْبِكَ قَـــدْ نَكَثْتَـــا

هنا في قوله: (**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ**)؛ لا يأتي إبليس إليك ونفسك الأمارة فيُسوِّف ويقول لك: أنك شباب الآن، استمتع بالدنيا وبعدين أطلب العلم والطاعة، لا، هذا كلام خطير من عدة أوجه:

الأول: أن العلم في الصغر كالنقش على الحجر، فلا ينبغي أن تفوت هذا السن المبارك، ورب العزة جَلَّ جَلَالُهُ وعظم سلطانه يعجب من شاب ليس له صبوة.

الأمر الثاني: ما الذي يُدريك أنك تُهمل حتى تكبر؟ ما الذي يُدريك؟ فـ (**كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا**)، (**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ**)؛ امتهال بمعنى المهلة، بمعنى المهلة وهو التأخير، (**وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا**).

الأمر الثالث: أن الإنسان إذا لم يستغل الصبا، أول العمر، مقتبل العمر، قوة العمر في طاعة الله فإنه لا يستطيع الإقبال بقوة على العلم بعد ذلك، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ ليحيى وهو صغير: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [سورة مريم، من الآية:١٢]؛ وقال النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن تزولا قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعٍ: عن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»، وأيضًا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان أن الإنسان يُسأل عن الشباب والعمر: «**وعن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه**».

(**وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى... بِنُصْحِكَ لَوْ بعقلك قَدْ نَظَرْتَا**)؛ كأنه يقلب النصح يقول: قل لي أنت يا من أنا نصحتك، (**بَلْ أَنْتَ أَوْلَى... بِنُصْحِكَ لَوْ بعقلك قَدْ نَظَرْتَا**)؛ يعني كأنه يُبين أن نظرات الناصح له كأنه يقول له: خليك في نفسك، وجِّه النصيحة لنفسك، أنت أولى بما تقوله لي مني، فقال: (**وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى... بِنُصْحِكَ لَوْ بعقلك قَدْ نَظَرْتَا**)؛ يقول: (**بعقلك**)؛ أي بهذا التعقل الذي توجهه إليَّ لو نظرت نظرة متأمل، وهذا كلام خطأ، لأنه لا يلزم من كون الناصح

ناصحًا أن يكون أفضل من المنصوح، لا يلزم؛ فهذا الكلام باطل، ولا يلزم للناصح أن يكون عاملًا حتى يكون ناصحًا، لا يلزم، أي نعم هو أفضل وأوجب وألزم، ولكن لا يلزم.

(**تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا... وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا**)؛ كأن المنصوح يقول للناصح: أنت تقطعني؛ أي تلومني على التفريط، والتقطيع؛ التجزئة أي تجزئني وتبين معايبي قطعة قطعة على التفريط الذي حصل مني، والتفريط معناه: عدم استغلال الوقت، عدم استغلال الشيء على وجه الكمال، فيقال: تفريطٌ وهو التسهيل، وعدم المبالاة بالشيء، (**وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا**)؛ وأنت حالك أنك يومك وزمانك ووقتك قطعته بالتفريط، هذا الكلام قد يكون قائله مبطلًا، ويقوله على سبيل الاعتلاء، وقد يكون حقًّا، بعض الناصحين ربما كان في غابر الزمن ضالًا فهداه الله، فاسقًا فتاب الله عليه، فالآن يريد أن ينصح، الناس يقولون له: تذكر أيامك، ما له علاقة، كان مشركًا فصار مسلمًا، كان عاصيًا فصار تائبًا، كان ظالمًا فصار عادلًا، ما الذي يمنعه أن ينصح؟! هذا كلام لا يستقيم.

قال: (**وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا... وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا**)؛ وهذا أيضًا يؤكد لنا أن المنصوح له هو ابنه الذي كان صغير السن بالنسبة إليه هو، (**وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا**)؛ يعني تهددني بالموت، (**الْمَنَايَا**)؛ الموت، (**وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا**)؛ يعني أنت أصبحت شيخًا كبيرًا في السن، وما تدري ما الذي تصير إليه ولا زلت تفرط.

يقول: (**وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا... فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا**)؛ يعني أنت كنت في وقت الصبا أحسن من حالك الآن أيها الناصح، وأسد وأزهد وأورع، (**فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا**)؛ لأن بعض الناس ونحن منهم -نسأل الله أن يتجاوز عنا وعنكم-، لما يكون الإنسان في مقتبل العمر، وهو يطلب العلم كثير الزهد، ثم إذا تزوج وصار له أولاد؛ فإن الزوجة والأولاد (**مجبنة مبخلة**) كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد يُرى عليه شيء من الانشغال بالدنيا فيعاب، أنك لم تكن كذلك، كنت كريمًا وأصبحت ممسكًا، كنت زاهدًا وأصبحت تبحث عن شيء من الدنيا تُطعم بها زوجك وعيالك ونحو ذلك.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البيت السابع والستين في قوله: (**وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الْخَطَايَا**)، إلى قوله في البيت السبعين: (**وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ**)؛ فيه بيان أهمية البعد عن الغفلة والظلم والصفات السيئة لطالب العلم.

٦٧- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الْخَطَايَا ... كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا

٦٨- وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ ... وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا

٦٩- وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

٧٠- وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ ... وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْتَهَكْتَا

٧١- لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا ... وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

٧٢- وَنَادَاكَ «الْكِتَابُ» فَلَمْ تُجِبْهُ ... وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

٧٣- وَيَقْبُحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي ... وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

٧٤- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا ... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مِنْ ذَمَمْتَا

٧٥- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي ... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

هنا من هذا البيت: (**وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الْخَطَايَا**)؛ بيان حاله وأنه قدوة للمنصوح له، يقول: ها أنا أمامك، وأنا لم أخض بحر الخطايا، لا في صغري ولا في كبري، (**كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا**)؛ فكم البون الشاسع بينك وبيني أنا؟ فأنت خضت في بحر الخطايا وأصبحت غرقا في لجج المعاصي، وبقيت عليك الحسرات، وأنا لم أخض، ولم أرَ إلا راحة البال ورفعة الدرجات، فشتان بين من خاض في الدنيا، وبين من أعرض عنها.

ثم قال -ويتحدث عن حاله ليؤكد أنه له قدوة، وأنه له أب صالح ينبغي له أن يقتدي به-: (**وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ**)؛ طبعًا كما قال بعض الشراح: (**حُمَيَّا**)؛ يعني حرارة حمية أم دفر، و(**أُمِّ دَفْرٍ**)؛ كُنية الدنيا، والعرب ما من شيء عندهم إلا ولها كُنية، فالدنيا كنيتها أم دفر، وأصل الدفر في اللغة: الخبيث المنتن الرائحة، (**وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ**)؛ يعني أنا ما سكرت بهذه الدنيا، ومن كُنى الدنيا أيضًا: أم درزٍ، (**وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا**)؛ غرقت في حب الدنيا واستقيت من حبها حتى سكرت بحبها، وهذا فيه دلالة عن أهمية البعد عن الغفلة.

ثم قال في البيت الثامن والستين والتاسع والستين، أو على الترتيب الذي عندكم، تسعة وستين وسبعين: البعد عن الظلم والعدوان والعُجب والغرور، قال: (**وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ**)؛ هذا فيه أهمية مفارقة طالب العلم في الظلم والظلمة، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [سورة هود، من الآية:١١٣]؛ إياك أن تركن وأن تجلس في مكان فيه ظلم وظلمة، (**وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وانهملتا**)؛ وأنهمل الرجل بمعنى أخذه بطريقٍ كثير أو بطرق متعددة، وأنهمل الماء إذا كثر انغماره، وازداد انسكابه.

قال: (**وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا**)؛ يُبين الناصح أن زمانه كان غير عن زمانه، فهو كان في زمانه العصر الذي هو فيه قلة المعاونين، (**وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ**)؛ هذا مثل الذي يأتي ويقول: والله في الثمانينات ما كانت فيه دورات علمية كثيرة في الكويت، شلون أصير طالب علم؟ أما الآن فالدورات العلمية لا تكاد أن تحُصر من كثرتها، (**وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا**)؛ نشأت تحت كنف والدك وهو عالم، تحت كنف عصر فيه دروس وحِلق وعلماء.

ثم ذكر من البيت الواحد والسبعين إلى البيت الرابع والسبعين الغفلة عن المذكرات والمنبهات، وهذا حال كثير من الناس الذين يتركون طلب العلم.

قال: (**لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا... وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا**)؛ يعني أنت مشيت معي وأنا أبوك أوديك وأجيبك عند العلماء وعند المشايخ ثم لا أراك تقتدي بهم، ولا تصحبهم، ولا تستفد منهم، وهذا فيه وجوب الحذر من عدم الاستفادة من الأعلام الكبار، الواجب للإنسان أنه إذا جلس في مجلس أن يستفيد علمًا وحلمًا، أو علمًا، أو حلمًا، (**لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا**)؛ فهو كونه يمشي مع أبيه إلى العلماء إلى طلاب العلم يعني فيه مصاحبة للأعلام الكبار. (**وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا**)؛ ما استفدت منهم ولا من سيرهم.

ثم ذكر له مذكرًا آخر ومنبهًا آخر فقال: (**وَنَادَاكَ «الْكِتَابُ» فَلَمْ تُجِبْهُ... وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا**)، (**وَنَادَاكَ «الْكِتَابُ»**)؛ يحتمل أن يكون المراد: القرآن، فإن القرآن يُنادي المؤمنين بنداءات خاصة وينادي بنداءات عامة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٠٤]؛ هذه نداءات خاصة لأهل

الإيمان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢١]؛ هذه نداءات عامة، ويُنادي المؤمنين ليستفيدوا من هذه الدنيا علمًا وعملًا، (**وَنَادَاكَ «الْكِتَابُ» فَلَمْ تُجِبْهُ**).

ويحتمل أن يكون المراد: (**وَنَادَاكَ «الْكِتَابُ»**)؛ كتاب أجلك، فإن الأجل محدود، والعمر محتوم، لا يمكن أن يُزاد فيه ولا أن ينقص كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٣٨].

(**وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا**)؛ ظهر الشيب في رأسك في لحيتك تحاول أن تخفيها، ولا تتذكر أنك أقبلت على القبر وعلى الآخرة.

(**وَيَقْبُحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي... وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى**)؛ إذا كان الفتى يقبح به أن يتصابا، شاب عمره عشرين سنة يفعل أفعال المراهقين الذين أعمارهم بين الرابعة عشر والخامسة عشر؛ هذا أمر قبيح، (**وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى**)؛ شيخ جاوز الخمسين وإلى الآن يعمل أعمال الفتيان من الانشغال بالدنيا، هذا أقبح بكثير، فكأنه يوجه له أن يحذر وألا يتصابى مع كونه صار فتيًا، وأحذره ألا يدركه العمر شيخًا ولازال في أعماله فتيًا لأعمال الدنيا.

(**وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا**)؛ هذا كله يحتمل أن يكون من كلام المنصوح للناصح على سبيل الاستكبار، ويحتمل أن يكون من الناصح للمنصوح على سبيل الحكايات، (**وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي**)؛ تفند هذه الأحوال التي ذكرتها لك عن نفسك، (**وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا**)؛ واللبيب هو العاقل.

والفرق بين العاقل واللبيب: كل عاقلٍ له لب، وليس كل لبيب يكون هو بمنزلة العاقل، فاللبيب أرفع درجةً من العاقل، ولهذا لو كان إنسان مخبول له عقل، لا يقال له: ليس له عقل، لأن كلمة له عقل عكسه المجنون، وأما كلمة اللبيب فهي درجة مرتفعة عن العقل وهي الاستفادة من هذا اللب، من هذا العقل، واستخدامه فيما فيه الصلاح.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من البيت الخامس والسبعين من قوله: (**وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا**)، إلى قوله: (**رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى**)؛ فيه احتقار النفس والحذر من الكبر والغرور في طلب العلم.

القارئ: عندنا تقديم وتأخير يا شيخ، في تقديم وتأخير بين بيتين.

الشيخ: عجيب! كيف؟

القارئ: (وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا)، بعدُ (وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي).

الشيخ: آه (وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا... لِعَيْبٍ)، مقدم على أيش؟

القارئ: مقدم على: (وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي).

الشيخ: أينعم، أينعم، ما في بأس.

القارئ: جزاكم الله خيرًا.

٧٤- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا ... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مِنْ ذَمَمْتَا

٧٥- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي ... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

٧٦- وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا ... لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا

٧٧- وَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ ... أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا

٧٨- ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تُخْشَى ... لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْتَا

٧٩- وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى الْمَعَاصِي ... وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا

٧٠- رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا

يقول: (وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مِنْ ذَمَمْتَا)؛ يعني هذا منبغى من طالب العلم أن يحقر نفسه، وأن يذم نفسه، ولا يرى لنفسه منزلةً عند الناس، بل يرى نفسه مقصرًا في جنب الله عَزَّوَجَلَّ.

(وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا)؛ لا طبعًا هذا كلام خطأ، كون الإنسان مقصر لا يلزم منه أن يقصر مرة أخرى فلا ينطق بالحق، ولو ما نصح إلا مستقيمٌ لما استقامت الدنيا، بل ينبغي للإنسان أن ينصح ولو كان مقصرًا.

قال: (وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا... لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا)؛ يعني الإنسان لو بكى الدم فخرج من عينيه الدم بدل القطر –الماء– خوفًا من ذنوبه لا يستطيع أحد أن يقول: خلاص الله تاب عليك لا تبكِ، لأن هذا أمر غيب لا يعلمه إلا الله جَلَّوَعَلَا، ولكن يُرجى أن الخائف الباكي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يعفو عنه، لماذا؟ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الندم توبة**»، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله يمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار**».

ثم قال: (**وَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ... أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا**)؛ طبعًا لا أحد يستطيع أن يعطيك الأمان، وإنما نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وهذه من الفروقات العظيمة بين العبَّاد والعلماء، العبَّاد أحدهم إذا رأى نفسه من أهل الصف الأول كأن الجنة في جيبه، والعلماء وطلاب العلم يعملون أعمالًا يعجز عنها العباد كلهم، ومع ذلك يتمنى أحدهم لو أن شجرة تقطع، أو ترابًا لم ينبت ولم يزرع منه شيء ولم يكن قد وُلد، تأملوا في حال الصديق وهو من هو؟ يقول: "ليت أمي لم تلدني"، لماذا؟ هذا حال العلماء العالمين بالله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال: (**تَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تُخْشَى... لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْتَا**)؛ وهذا أمر خطير، ينبغي للإنسان يخاف من الذنوب على نفسه لا سيما الميزان وأمره مخفي.

(**وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى الْمَعَاصِي... وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا**)؛ الإنسان إذا رأى المعاصي والذنوب يشوف الظالم اللي يأخذ أموال الناس يقولون: شوفوا الظالم، وبعد شوية هو يروح الديوانية يغتاب الناس وينم فيهم، ويحش فيهم ولا يشفق على نفسه، هذا بسبب الجهل.

(**رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى**)؛ الرجوع القهقرى هو أن الإنسان يرجع إلى الوراء بدون التفات صدرٍ، (**رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا... لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لمَا رَجَعْتَا**).

ثم ذكر من قوله: (**وَلَوْ وَافَيْتَ**)، إلى قوله: (**وَلَا تُنْكِرْ**)؛ التخويف بذكر الموقف يوم القيامة.

٨١- **وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ ... وَنُوقِشْتَ الْحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا**

٨٢- **وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ ... عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا**

٨٣- **وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ فَرْدًا ... وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى**

٨٤- **لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا ... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا**

٨٥- **تَفِرُّ مِنْ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ ... فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا**

٨٦- **وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا ... وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا**

٨٧- **وَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدُّ ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا**

من هذا البيت: (**وَلَوْ وَافَيْتَ**)، إلى قوله: (**وَلَا تُنْكِرْ**)؛ التخويف بذكر الموقف، فإن مما يعين على طلب العلم أن يتذكر الإنسان الموقف العظيم بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ويدرك أن النجاة أولًا يحصل للعالم العامل لطالب العلم الذي عمل به.

(وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ... وَنُوقِشْتَ الْحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا)؛ لو كان إنسان ما عنده ذنوب ونوقش؛ هلك كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من نوقش الحساب عذب**»، وهذا حديث روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيح.

(وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ... عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا)؛ طيب.. قد يقول قائل: ما عنده ذنب، فلماذا إذا نوقش الحساب عذب؟ لأن طاعاته لا تقوى على أداء حق الله عَزَّوَجَلَّ فيستحق بذلك النار، ولذلك هذا معنى قول العلماء: الناس يدخلون الجنة بفضل الله، ورحمة الله، وكرم الله، وجود الله، ورحمة الله قريبة من المحسنين.

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الفصل فَرْدًا ... وَأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى

٨٤- لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا ... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

هذا موقف عظيم يجعل الإنسان يستغل أوقات حياته في الدنيا، يوم الفصل اسم من أسماء يوم القيامة. و(**فَرْدًا**)؛ لأن الناس يحشرون فردًا، ثم يصنفون صنفًا، ثم يحاسبون فردًا، ثم يتجاوزون فردًا، تأمل الأحوال!

وكل إنسان يوم القيامة يُحشر أولًا من قبره فردًا، ثم يصنف صنفًا، ثم يحاسب فردًا، ثم يمر الصراط فردًا، ثم يُجمعون مرةً أخرى جمعًا كل صنفٍ إلى صنفه، والمنازل يوم القيامة مختلفة.

(**لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا**)؛ لا تضيع من عمرك ولا دقيقة، استغله في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، (**تَفِرُّ مِنْ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ**)؛ الهجير حر الشمس في الصيف يسمى الهاجرة، وقت الضحى، (**تَفِرُّ مِنْ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ**)؛ بمظلة أو بشجرة أو ببيت، (**فَهَلَّا عن جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا**)؛ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٨١].

(**وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَها عَذَابًا... وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا**)؛ أهون أهل النار لا يستطيع الإنسان أن يطيق هذا العذاب، له نعلان من نار يغلي منهما دماغه.

(**وَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا**)؛ الإنكار ما ينفع كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٢٣]؛ فلينكر من ينكر، القيامة آتية.

ثم ذكر من البيت الثامن والثمانين: («**أَبَا بَكْرٍ**» **كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي**)، إلى قوله: (**وَمَهْمَا عِبْتَنِي**)؛ الحذر من ترك العلم والعمل لعمل رآه من أبيه أو من شيخه أو من أقرانه.

٨٨- «أَبَا بَكْرٍ» كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا

٨٩- فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ الْمَخَازِي وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

٩٠- وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي بِبَاطِنِهِ كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا

هذا يجعل طالب العلم يحذر، فلا يترك العلم لتقصيرٍ رآه في أبيه، أو لتقصير رآه في شيخه، أو لتقصير رآه في زملائه.

ثم قوله: (**أَبَا بَكْرٍ**)؛ على اختيارنا أنه ابنه يقول: (**كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي**)؛ فيما قلت فيما سبق، (**وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا**)؛ في عيوب أخرى ما ذكرتها أنت، وأنا أعلمها وأنت قد لا تعلمها، (**فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ الْمَخَازِي... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا**)؛ لهذا -أيها الإخوة- إذا جاءك إنسان يبين عيبك لا تغضب، فإن ما قاله إما أن يكون فيك، وإما أن لا يكون فيك الذي قال ففيك مثله إن لم يكن أضعافه، لا تغضب، قل له: جزاك الله خير، والله يعِينا على أن نسد وأن نتوب وأن نغفر ليس بعيب، العيب أن الإنسان يسوف لنفسه، ويسوغ لنفسه، ويسوق لنفسه، كلنا ذاك الرجل المقصر.

(**وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي... بِبَاطِنِهِ كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا**)؛ فأنت مهما تبين لي عيوبي، (**فَلِفَرْطِ عِلْمِي... بِبَاطِنِهِ**)؛ أنا أعلم من باطني ما هو أكثر من التفريط الذي أنت تقوله، فيعتبر ذمك أنت وعيبك أنت مديح بالنسبة لنفسي، وهكذا العلماء يحتقرون أنفسهم، ما هم مثل بعض الناس اليوم لو قلت: اتق الله، أقام الدنيا عليك وأقعدها، ليش هذا؟ طيب أنت طالب علم، ما الذي يضيرك إذا جاءك رجل وقال: اتق الله، قل: جزاك الله خير، وبارك الله فيك، وكثر الله أمثالك.

من قوله: (**فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ**)، إلى قوله: (**وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا**)؛ الدعوة للكمالات.

٩١- فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهُوَ عَارٌ عَظِيمٌ يُورِثُ الْمَحْبُوبَ مَقْتَا

٩٢- وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا وَيُبْدِلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتَا

٩٣- كَمَا الطَّاعَاتُ تُبْدِلُكَ الدَّرَارِي وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا

٩٤- وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا وَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَا

٩٥- وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا عَزِيزًا وَتَجْنِي الْحَمْدَ فِيمَا قَدْ غَرَسْتَا

كما ذكرت هذه الأبيات فيها الدعوة للكمالات، (**فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهُوَ عَارٌ**)؛ ما يوجد إنسان إلا وعنده عيب، لكن لا ترضى بها، اجتهد في التخلص منها؛ لأن المعايب عار، سواء كانت هذه المعايب نقصانات في الطاعات، أو كانت هذه المعايب نقصانات في الأخلاق.

(**عَظِيمٌ يُورِثُ الْمَحْبُوبَ مَقْتَا**)؛ العيب الموجود في الإنسان يورثه غضب الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان النقص في معايب في الطاعات أو في معايب الاخلاق، وأكثر ما تظهر المعايب في الأخلاق؛ الحدة، السب، الشتم، ونحو ذلك.

(**وَتَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا... وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتَا**)؛ يعني الإنسان إذا اتصف بالمعايب ربما يكون عاليًا بعلمه لكنه يهوي وهو وجيه، يهوي ويسقط من الثريا، (**وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتَا**)؛ فيصبح من الثرى التراب، فيساوى بالتراب، فالعلم شأنه يرفع الإنسان إلى الثريا، ولكن مع الأخلاق، وإذا لم يكن معه أخلاق ومعه معايب؛ فإن المعايب تنزله إلى الثريا، إلى الثرى.

(**كَمَا الطَّاعَاتُ تُبْدِلُكَ الدَّرَارِي... وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا**)؛ الطاعات تقريب الإنسان من الله عَزَّوَجَلَّ، ويتبدل القلب نقاوة وبياضًا، وتتبدل الصفات حمدًا ودراري وجواهر.

(**وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا... وَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَا**)؛ الإنسان الطاهر يحبه الناس وين ما كان.

(**وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا عَزِيزًا... وَتَجْنِي الْحَمْدَ فِيمَا قَدْ غَرَسْتَا**)؛ الإنسان العالم أينما ذهب وحل نفعه، طالب العلم حيثما حل نفع.

من قوله: (**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**)، إلى قوله: (**وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ**)؛ فيه بيان فضل النشأة على العبادة والطاعة من الصغر.

٩٦- وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

٩٧- وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

٩٨- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

٩٩- تُدَنِّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

١٠٠- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ وَكَيْفَ لَكَ الْفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

قوله: (**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**)؛ لأنه صغير السن ولذلك الناس ما جربوا أن يعرفوا عيوبه وأخلاقه. (**وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا**)؛ لأنه لم ينفتح على الدنيا فيقول: استغل هذا الآن في أن تجد في طلب العلم.

(**وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ.. وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا**)؛ الإيضاع هو نوع من الإسراع مع إخراج صوتٍ للبطن، هذا يسمى الإيضاع، وأوضعت الإبل إذا أسرعت حتى تسمع صوت بطونها، (**وَلَا خَبَبْتَا**)؛ والخبب هي السرعة في المشية بلا ركضٍ.

(**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ... وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا**)؛ الإنسان إذًا عُرف بالمعايب يريد أن يتخلص ما يستطيع، الإنسان إذا عُرف بحب الدنيا يريد أن يتخلص يصعب عليه.

(**تُدَنِّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى... كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا**)؛ وهذا فيه الحث على المحافظة على النقاوة والطهارة.

(**وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ... وَكَيْفَ لَكَ الْفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا**)؛ إذا أسر الإنسان عند العدو يصعب خلاصه، وكذلك الإنسان المأسور بذنبه وبعيبه يصعب أن يخلص لكن لا ييأس.

ثم من قوله: (**فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ**)؛ البيت رقم واحد بعد المئة إلى يعني البيت تسعة بعد المئة كله في كيفية المخالطة والحذر من الناس.

١٠١- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم ... كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

١٠٢- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُم حِذَارًا ... وَكُنْ كَـ «السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا

١٠٣- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَامٌ ... لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

١٠٤- وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ ... تَنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

١٠٥- وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ ... يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

١٠٦- وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ ... وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

١٠٧- فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا ... لأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا

١٠٨- وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا ... سُمُّوًا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا

١٠٩- فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا ... إِلَى «دَارِ السَّلَامِ» فَقَدْ سَلِمْتَا

١١٠- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا ... لإِكْرَامٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

هنا في قوله: (**فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم**)؛ وجوب الحذر من مخالطة الناس وعدم طلب العلم، لأن مخالطة الناس جربٌ، مخالطة الناس أهل الدنيا جرب، إن لم تصر مثلهم فإنه يصيبك الجرب، (**كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ**)؛ الضراغم جمع ضرغم، وهي الحيوانات العادية السبعية. (**وَالسَّبَنْتَى**)؛ السبنتى اسم للنمر، ويُطلق على الجريء الشجاع.

(**وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُم حِذَارًا**)؛ يعني ما تقول: والله أنا ما أخالط الناس، لا، خالطهم بقدر ما تنفعهم، (**وَزَايِلْهُم**)؛ إذا خشيت الضرر، (**حِذَارًا... وَكُنْ كَـ «السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا**)؛ السامري قال كما قال الله عنه: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [سورة طه، من الآية:٩٧]؛ فالإنسان إذا خاف الفتنة من أهل الدنيا يقول لهم: أنتم عليكم بأنفسكم وأنا علي بنفسي.

(**وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَامٌ**)؛ إذًا الأول الحذر من مخالطة الناس بالبدن، الآن الحذر من مخالطة الناس بالأقوال، (**وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ**)؛ ما تقول مثلهم، سبوك تسب، شتموك تشتم، لا، (**فَقُلْ: سَلَامٌ... لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا**)، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٦٣].

(**وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ... تَنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا**)؛ العصم بقية كل شيء، العُصم في اللغة: بقية كل شيء، والمعنى: (**وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ... تَنَالُ**)؛ تنالك أي يصيبك أمر كل شيءٍ من فتن الدنيا، ينالك أمر كل شيء من فتن الدنيا، (**إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا**)؛ أي إلا إن حفظت.

ثم قال: (**وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ**)؛ ذهبت إلى مكان تنشر علمك أو تطلب علم فمنعوك؛ لا تمكث فيه فإن أرض الله واسعة. (**يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا**)؛ إذا ذهبت إلى مكان أحسست بموت القلب؛ أخرج من هذا المكان إلى مكان آخر تحيي به قلبك. ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٥٦]، (**إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا**)؛ يعني منعت سجنت حبست.

ثم قال: (**وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ**)؛ قلنا: التغرب سبيل من وسائل العلم، (**وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا**)؛ يعني إلى مكان يعني أغلقوا عليك كل المغالق حتى أصبحت تتشرق بريقك؛ فاذهب إلى مشارق الأرض ولا تمكث في هذا المكان.

(**فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا... لأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا**)؛ ما هو الزهد في الدنيا؟ الزهد في الدنيا ما هو أنك لا تذكر بها، الزهد في الدنيا أن تزهد فتتركها وتسعى إلى المعالي والعلم والطاعات فيها.

ثم قال: (**وَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا... سُمُّوًا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا**)؛ كيف يكون الإنسان فوق الأمير؟ بالعلم، فإن الأمير يحتاج إليه، وهو لا يحتاج إلى الأمير.

(**فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا... إِلَى «دَارِ السَّلَامِ» فَقَدْ سَلِمْتَا**)؛ إذا الإنسان خرج بالعلم والعمل من دار الدنيا إلى دار السلام سلم.

(**وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا... بِإجلالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا**)؛ إذا الإنسان أكرم نفسه بالدنيا ونظر إلى حظ نفسه في الدنيا، وأكرم نفسه في الدنيا؛ فإنه أهانها، لأن القضية عكسية، أكرم نفسك عن الدنيا تُكرم عند الله، بقدر ما تُكرم نفسك من الدنيا تُهان عند الله.

ثم ختم المنظومة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الأبيات الخمسة:

١١١- جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

١١٢- وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ لأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

١١٣- وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهُوْي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَا

١١٤- وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا

١١٥- وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي وَعِتْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَا ذُكِرْتَا

قوله: (**جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا**)؛ حقيقة هذه المنظومة جامعة للنصائح لمن يريد أن يطلب العلم ويزهد في الدنيا، ولكن عليه أن يمتثل، يمتثلها في حياته (**فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا**).

(**وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ... لأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا**)؛ حقيقة هو يرى أنه طوَّل، لكن نرى أن الأمر كان بحاجة إلى أكثر من هذا لاسيما لو رأى توسع الناس في الدنيا، لكنه يخاطب أهل زمانه.

ثم قال: (**وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهُوْي... وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَا**)؛ يعني حتى لو أنا كنت مقصر فلا تهتم بهذا، ولكن خذ بالوصية فإنها وصية راشدة -إن شاء الله-.

ثم قال: (**وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا... وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا**)؛ يعني من مئة وستة وتسعة فوقها، كم يصير المجموع؟ مئة وأربعة عشر، لكن عندنا هنا مئة وخمسة عشر الظاهر أنها بدون البيت الأخير.

(**وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي**)؛ اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه العترة الكريمة، (**وَعِتْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ مَا ذُكِرْتَا**)؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصل اللهم وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليه.